اجتهادات
جرسُ إنذارٍ جهير

تعود أهمية فيلم (لا تنظر للسماء)، الذى أشرتُ إليه فى اجتهاد الأمس، إلى فكرته أكثر من إبداعه الفنى، أو وجود عدد كبير من النجوم حُشر بعضهم فى أدوار ثانوية ينتهى أحدها قبل منتصفه. ربما أراد صانعو الفيلم حشد نجوم فى حجم ميريل ستريب، وجنيفر لورنس، وليوناردو دى كابريو وغيرهم، لتحقيق اختراق فى معدلات المشاهدة .

الفيلم مزيج من الواقع والخيال العلمى فى إطار نوع من الكوميديا السوداء. يستخدم صانعوه فكرةً مُستهلكةً، وهى اكتشاف قُرب اصطدام نيزك بالأرض، ولكن بطريقة جديدة يتوسلون بها للسخرية من اختلالات متزايدة فى أداء نظم الحُكم التى تعتمد على شبكات مصالح مُتداخلة، ويتدنى مستوى من يتصدرون المشهد العام فيها وأداؤهم، وينصرف السياسيون والإعلاميون فى ظلها عن القضايا الكبرى حتى فى حالة تهديد وجودى، ولا يُكترث بالعلم والعلماء الذين يُنبهون إلى هذا التهديد، فيما يقل الوعى فى أوساط الرأى العام.

ويُثير الفيلم، بالتالى، قضية ذات طابع عالمى، إذ توجد هذه الاختلالات بأشكال مختلفة فى كثير من البلدان التى تتحكم فى مصيرها شبكات مصالح كبرى تجمع حكومات وشركات كبرى عامة وخاصة ووسائل إعلام، حيث يجرى التعامل مع أخطر القضايا بخفة وسطحية فى ظل مزيج من ضعف المعرفة وتهافت الأداء على ما بينهما من اتصال.

ويتخذ صانعو الفيلم من دوائر السلطة والإعلام فى واشنطن منطلقًا للإضاءة على هذه الاختلالات، من خلال طريقة تعامل الرئيسة وطاقمها مع خطر وجودى والاستهانة به وبالعالِمَين اللذين اكتشفاه، ثم استخفاف وسائل إعلام به، وكأن كل أصحاب القوة والنفوذ يقولون للناس الغافلين بدورهم إنه ليس عليكم إلا أن تكفوا عن النظر إلى السماء إذا كان التهديد آتيًا منها.

وقد وجدتُ فى قوة رسالة الفيلم ما قد يغفر لصانعيه طرحها بطريقة مُباشرة غير مُستحسنة فى الأعمال الفنية، فربما أرادوا أن يكون الناقوس الذى يقرعونه للتنبيه إلى الخطر المُحدق بالعالم جهيرًا إلى أقصى حد. وأظنهم نجحوا فى ذلك، سواء بمعيار الجدل الذى يُثيره الفيلم منذ بداية عرضه فى منصة نتفليكس، أو بمقياس الإقبال الواسع على مشاهدته.